زمان

المغرب كما كان

العدد 125 - مارس 2024

الثمن: 25 درهما

نسخة ليست للبيع

مغاربة ادّعوا النبوة

كشف الستار

لماذا قدّس أجدادنا الماء منذ القدم

قضية ساخنة

هل فعلا وصل عقبة بن نافع للمحيط الأطلسي ؟

التاريخ المنسي

مدينة سلا أو أطْلَنْتِس المفقودة

زمان
المغرب كما كان

تنشرها
TWO MEDIAS MAROC
شارع الجيش الملكي، عمارة الحبوس، الطابق التاسع، الدارالبيضاء
الهاتف: 12 15 45 22 5 (0) 212+
54 73 43 61 6 (0) 212+
الفاكس: 33 89 44 22 5 (0) 212+
البريد الإلكتروني: courrier@zamane.ma

مدير النشر والمدير العام
يوسف شميرو
y.chmirou@zamane.ma

مدير التحرير
كريم البخاري
k.boukhari@zamane.ma

المستشارون العلميون
حسن أوريد
محمد المنصور
محمد ياسر الهلالي
عبد المالك ناصري

سكرتير التحرير
عمر جاري
o.jarri@zamane.ma

التحرير
غسان الكشوري
محمد عبد الوهاب رفيقي
يونس مسعودي

ساهم في هذا العدد
محمد حقي
سامي لقمهري
محمد كنبيب

كتاب الرأي
موليم العروسي

التصميم الفني
صوفي كولدرينغ

المسؤول الفني
محمد ذهابي

الصور
أ ف ب، روجي فيولي، مرادجي

الرسوم وصورة الغلاف
عدنان جابر

المستشار القانوني
عبد اللطيف أيت بوجبير

المسؤولة الإدارية
جميلة مجدول

اللوجستيك و التوزيع
زكرياء أيت بوجبير

الطبع
سي تي بي، إيديال، الدارالبيضاء

التوزيع
سابريس-سوشبريس

الإيداع القانوني 2010/5010
ملف الصحافة 23/ض/2013
سحب من هذا العدد 15.000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة، يمنع نقل مواد المجلة أو ترجمتها إلا بإذن من الناشر.

مع دخول الإسلام لبلاد المغرب الأقصى وما جاء به من تعاليم جديدة، وما حمل معه من العقائد والقوانين والأعراف التي شكلت صدمة للثقافة المحلية، والنظام القبلي المتجذر والقائم على الاستقلالية والميل نحو الزعامة والمقاومة، والمتأثر بصعوبة التضاريس الطبيعية والمزاج الجبلي المتعنت، كان ظهور عدد من مدعي النبوة، الذين حاولوا مضاهاة الإسلام، واختراع أديان جديدة وشرائع مختلفة

محمد عبد الوهاب رفيقي

كان للتيوريقات الدينية السابقة دور في ظهور مدعي النبوة، بمزاج غير الإسلامية. كان اليهودية والمسيحية والوثنية، والتي امتهنت الغارة في تكييفها مع ما يتوافق مع عاداتهم وتقاليدهم. لم الإسلامية كالخارجية من حضرة وبادية، بدءا فيما بين حول نمو الفترة والتحرر، خاصة مع نظم واستبداد الولاة القادمين من الشرق، وسياساتهم القاسية من جباية للأموال وتسبي للنساء، وهدم اقتصاد بالتذكير الفروعة الإسلامية التركية بمكة.

كان ذلك، إضافة إلى استغلال كثير من الغارة بربريا للشرائع الإسلامية، خاصة ما يتعلق بمفهوم الزكاة وبعض العبادات التي رأوا فيها كثيرا من الجهد كالصلاة والصيام، كان سببا في ثورة بعض القبائل ورفضها في إطار ما شرع فيه جديدة. وهو ما دفع الشهور عدد من أنبياء النبوة، حاولوا مضاهاة التعاليم الإسلامية، وبنى تشريعات مختلفة من أشهرهم صالح بن طريف، الذي ادعى النبوة بمرتفعة مكناسة الطرف الثامن الهلالي، رغم أن بعض الباحثين يشككون في صحة هذا الادعاء، وأن الأمر لا يعدو أن يكون تمثيلا من

اشتغالهن على صالح بن طريف، الذي كان على مذهب الخوارج الصفرية، ولم يدع النبوة، بل أكثر من قراءة جديد كما يزعم خصومه من مؤرخي السنة والجماعة.

ومن أشهر من نسب إليهم ادعاء النبوة بالمغرب أيضا حاميم الغماري من أهل القرن الثامن الهلالي، ومحمد التكناسي الغماري خلال القرن الثالث عشر الهلالي، زعيم الموحدين، وغيرهم ممن لم يكن لهم من القوة والاتباع ما كان للسابق ذكرهم، فلم تهتم كتب التاريخ بذكر تفاصيل دعوتهم.

من ادعاء النبوة إلى انتحال المهدوية

إلا أن ما يمكن تسجيله بهذا الصدد، هو توقف كل هذه المحاولات التغريبية في ادعاء النبوة مع القرن الثامن عشر الهلالي، لتتخذ عشر في أشكال الأحوال، وتحول من أشكال الخارجية والشيعية المتأسسة في الحكم من أشكال النبوة في ادعاء المهدوية، ولعل ذلك يعزى إلى فشل المشاريع السابقة، بحكم سيطرة نقل دعوى النبوة، إذ أن المسلمين مجمعون على أن النبي محمد هو خاتم الأنبياء، والرسالي، أما المهدوية، فهي

...

بورتريه

62 ابن المؤقت : المصلح المثير للجدل

كان بن المؤقت عالما موسوعيا، ألّف في مجالات شتى، شملت التاريخ والأدب والتصوف والسحر والأوفاق والتوقيت... "زمان" تقتفي أثر رجل سبق عصره.

حسن أوريد

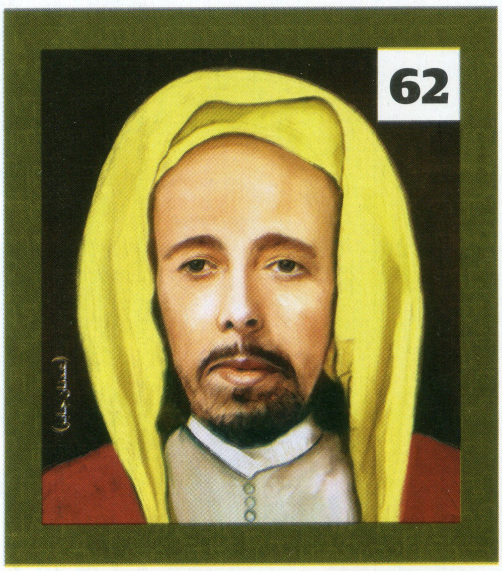

التاريخ المنسي

66 سلا أو أطْلَنْتِس المفقودة

أعلنت وزارة الثقافة والشباب والتواصل، يوم 3 نونبر 2023، اكتشاف مدينة مدفونة منذ ما يقرب من 2000 عام. يتعلق الأمر بسلا القديمة...

سامي لقمهري

ذاكرة مكان

70 مدينة مولاي إدريس زرهون : في حضرة المولى إدريس الأكبر

تستلهم مدينة مولاي إدريس زرهون قداستها من ارتباطها بإدريس بن عبد الله الذي هرب من مكة بعد نشوب معركة بين العباسيين والعلويين، وقد زادها "موسمها" الديني تفردا.

عبد المالك ناصري

نافذة على التراث

76 هكذا كان يحتفل بموسم مولاي بوعزة

محمد حقي

الرأي الآخر

82 خطر التربية عند "العدل والإحسان"

موليم العروسي

هكذا كان يحتفل بموسم مولاي بوعزة

يقام موسم مولاي بوعزة في مركز مولاي بوعزة، كل شهر مارس، ويشتهر بممارسات غريبة وعجيبة، تحمل مشاهديها إلى عالم الخيال والغرابة بعيدا عن العالم الواقعي الذي يعيشونه. فهل كانت هذه الممارسات والطقوس معروفة في حياة صاحب الضريح؟ أم أن الاحتفال مختلف تماما عن هذا الذي يشاهد حاليا؟

محمد حقي*

يقع مركز مولاي بوعزة؛ تاغيا قديما، في بلاد إيروجان (منطقة بوحسوسن حاليا) في الهضبة الوسطى، وهي جزء من إقليم خنيفرة التابع لجهة بني ملال - خنيفرة. وهي منطقة جبلية تغطيها الغابات مما يجعلها مراع جيدة للرعاة، كانت في القديم مرتعا للحيوانات المفترسة خاصة الأسود التي سكنت أذهان أهلها، ورسمت معالم تصوف مؤسس القرية.

تأسيس الرباط وصاحبه

تنسب هذه القرية للصوفي الزاهد أبي يعزى، الذي صار مولاي بوعزة حاليا، يلنور بن ميمون من هزميرة المصمودية أو من بني صبيح الهسكوريين من نواحي إمغران بإقليم ورزازات. وبالرغم من إجماع من ترجموا له على هذا النسب البربري/ الأمازيغي، فقد ألحق في بداية العصر العلوي (ق11هـ/ 17م) بالنسب الشريف، وصار ينعت بمولاي بوعزة، وبني عليه ضريح فخم.

في موطنه الأصلي، نشأ وتربى واشتغل في بدايته برعي أغنام قريته مقابل طعامه اليومي. وبعد ذلك، انطلق في سياحة صوفية طويلة؛ دامت حوالي أربعين سنة، قادته إلى جبال درب بين تمليل ودمنات وسواحل دكالة حيث التقى عددا مهما من شيوخ التصوف في عصره أشهرهم أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي السارية (ت. 561هـ) صاحب أزمور وأبو عبد الله أمغار صاحب طيط (مولاي عبد الله قرب الجديدة) وأبو موسى عيسى إيغور قرب أزمور. وقد خدم الأول منهم لفترة طويلة قبل أ يرحل إلى تاغيا بإيروجان بالهضبة الوسطى،ربما بأمر منه، حيث أسس رباطه/ زاويته واشتهر حتى وفاته عن سن متقدمة جدا عام 572هـ/ 1177م.

كان أبو يعزى رجلا أسود طويلا أملط لا شعر في وجهه، واعتاد أن يلبس برنوسا أسود مرقعا وجبة من تليس وشاشية عزف، كما كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، لكن كل الأدلة المستقاة من كراماته تثبت أنه كان يتمتع بثقافة دينية واسعة وأصيلة.

لا ندري بالضبط متى بدأ التحاقه بالتصوف، كما لا نعتقد أن تصوفه كان تصوفا علميا مبنيا على معرفة عميقة بعلوم القوم وطرقهم، ولكنه، كما أكد أحمد التوفيق، شيخ تبرك يُحَصِّل بركته كل من سلم له، وهو أقرب إلى عراف مسلم يقترب سلوكه من سلوك السحرة، كما اتهمه بذلك أهل عصره. وقد اكتسب أبو يعزى شهرته من كراماته العجيبة والغريبة التي أسكتت أهل عصره، علماءهم وعامتهم، وجعلتهم يسلمون بسبقه وولايته. وينقل التادلي أنها ثبتت بالتواتر في حياته وبعد مماته. وقد دارت حول مواضيع المكاشفة (كشف أسرار الناس ومعرفة خواطرهم)، وتغيير طبيعة الطعام (جعل الدفلى حلوة)، والتحكم في الحيوانات خاصة الأسود والتوفيق بينها (الأسود والحمير - الخروف والحمار)، وعلاج العاهات بالريق، وإنزال المطر، وهي كرامات قريبة من عمل السحرة مما جعل بعض الناس يتهمونه بالسحر كما أشرنا سابقا.

كانت طقوس زيارة مولاي بوعزة وممارسات الزوار تسير وفق قواعد الإسلام السنية

أسس أبو يعزى رباطا عبارة عن قرية صغيرة داخل فسحة وسط أجمة، وتقتصر بناياتها على منزل بسيط للشيخ يفتقد حتى إلى الباب الذي يغلق عليه، ومسجد متواضع مخصص للصلوات الخمس يشرف على الوادي، وساحة فسيحة تستغل لنزول الزوار ونصب خيامهم وربط دوابهم مدة إقامتهم عنده.

تحيط بالرباط ساحة فسيحة تستغل لنزول الزوار ونصب خيامهم وربط دوابهم مدة إقامتهم.

زيارة رباط أبي يعزى

يستقبل الرباط الزاوية زوارا من مختلف مناطق المغرب، وقد ذكر الصومعي أن المتصوفة كانوا يجتمعون عند ضريحه في الربيع، وهو الموسم الذي ما يزال يعقد حاليا في شهر مارس من كل سنة، ولا ندري هل كان هذا الموسم موجودا في عهد الشيخ أم لا، لكننا نرجح وجوده لكونه مرتبطا بالمواسم الفلاحية التي تعقدها الجماعات القروية بمناسبة بداية السنة الجديدة. ويمكن القول إن زيارة الشيخ تتم في كل أوقات السنة بدون انقطاع، لكن موسم الربيع (مارس) كان الوقت المفضل للزيارة حيث يجتمع العدد الكبير من أتباعه. وذكر العزفي والوزان أن من عادة أهل فاس ومكناسة الرحيل إليه في الأعياد وغيرها من أيام العطل. ويستقطب زواره من كل مناطق المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، حيث حضر زوار من تادلا وفاس ومكناسة وسلا وهسكورة ونفيس ورجراجة (حاحا) وسوس وسبتة وتلمسان.

كان أبو يعزى يتلقى زواره بحفاوة وحسن ترحاب وتواضع. ويتكفل بإطعامهم، حسب أقدارهم، وعلف دوابه طوال مدة إقامتهم. ويساعده سكان القرى الواقعة على طريق فاس وكذلك رعاة جبل فازاز في ضيافة زواره في طريقهم إليه، حيث يقدمون لهم المبيت والطعام أو فقط اللبن أثناء النهار. اعتمد أبو يعزى في موارد رباطه على الفتوح التي كانت تأتيه من أتباعه المقربين، وقد احتفظت المصادر ببعض أسماء الذين يأتونه بالفتوح، ومنهم أبو علي مالك بن تامجورت الذي كان يحمل إليه من نفيس حمل زبيب كل سنة، وأبو جعفر محمد بن يوسف من تاغزوت تادلا الذي كان يقاسمه كل ما مكسبه، وأهل رجراجة الذين اعتادوا أن يجلبوا معهم العنب عند زيارتهم. ونعتقد أن سكان القرى المجاورة له كانوا يقدمون هبات، غير طعام الضيوف العابرين، أكثر سخاء لقوة تأثيره فيهم والخدمات التي يقدمها لهم. فهذه القبائل هي التي تأتيه بعروسها قبل حملها لزوجها ليباركهما ويدعو لهما، وهي التي تتحاكم إليه في خلافاتها وتخضع لحكمه وتقبل به رغبة ورهبة، وهي التي تأتيه ليستغيث لها فتغاث، وهو من يعالج مرضاها ومجانينها وحيواناتها، وبالإجمال فهو الذي يحمل عنها كل أثقالها ويضمن لها الاستقرار النفسي كما تظهر كراماته. ولا يجب أن ننسى أن أبا يعزى كان يملك ثروة مهمة مكونة من أرض تزرع شعيرا، ومن قطعان البقر والماعز التي يكلف رعيانا بالعناية بها.

جمع أبو يعزى بين خصائص الرباط المميزة لباقي رباطات العصر وميزات الزاوية

طقوس الزيارة

كانت قرية أبي يعزى تأخذ صورتها كرباط في أوقات الزيارة الجماعية (مارس أو عيد الفطر)، وتتحول إلى مسجد لا تنقطع العبادة فيه ليل نهار بمشاركة وانخراط كل الزوار، علماء وعامة. وقد لخص التميمي هذه الممارسات كما يأتي:

* قيام الليل في أوله وآخره

كان زوار الشيخ يأتون إليه للتعبد والاستمتاع بصحبته والنيل من بركته.

(خاص)

بعد صلاة العشاء الآخرة، يتقدم الإمام ويصلي بالناس صلاة قيام أول الليل لبرهة من الليل، وعادة ما يمتلئ المسجد عن آخره فيضطر الناس للصلاة خارجه. وبعد الصلاة، يتفرق الناس للنوم داخل المسجد وحواليه ومنهم من يضطر للنوم بعيدا عنه. أما الشيخ، فيصعد إلى الجبل ويدخل الشعراء. وفي الثلث الأخير من الليل، يعود الشيخ فيجتمع إليه الناس، وكان من عادته أن يوقظ من يمر بهم في طريقه، ثم يتقدم إمام فيصلي بالناس صلاة آخر الليل حتى يقرب الصبح، فيتوقف ويدعو بدعاء قليل.

* قراءة القرآن والدعاء

بعد صلاة الصبح، يجتمع الناس لقراءة حزب القرآن، وبعده تبدأ حصة الدعاء التي يبدأها إمام المسجد ثم يتناوب عليها كل الحضور بداية باليمين، ومن لا يحسن ذلك يجوز لغيره حتى تصل الدولة للشيخ أبي يعزى الذي يدعو باللسان الغربي/ البربري دعاء طويلا وشجيا يبكي كل من في المسجد بمن فيهم من لا يفهمون كلامه. إنها ممارسة توافق حياة الرباطات القائمة على العبادة والتزام السنة.

* الوداع

عندما تنتهي الزيارة ويحين موعد الوداع، يعامل أبو يعزى زواره بمنتهى التواضع والرقة حيث يصنع طعاما واسعا في بيته يدعو إليه كل الناس، فيدخلون جماعة بعد جماعة فيأكلون ويسلمون وينصرفون كل حسب مكانته. وقبل الرحيل، يأتيه الزوار بأشيائهم لرقيها (إناء زيت، خيوط، عشب كلأ، طعام من عنده أو من غيره)، ويطلبون منه بعض أثره كشعيرات من رأسه أو قطعة من ثوبه أو بعض طعامه، فيتواضع للجميع ويلبي طلباتهم متغاضيا عما يسببونه له من أذى خاصة عندما ينتفون شعر رأسه.

هكذا، يظهر أن مقر أبي يعزى جمع بين خصائص الرباط المميزة لباقي رباطات العصر مثل رباط شاكر (تجمع الناس في مواسم محددة مثل الربيع وعيد الفطر ورمضان، وتعبد، ومرابطة على حدود مناطق تحتاج لدعم الإسلام ونشره)، وميزات الزاوية (استضافة وتقديم المأوى والطعام والحماية). وكانت طقوس الزيارة وممارسات الزوار تسير وفق قواعد الإسلام السنية. لقد كان زوار الشيخ يأتون إليه للتعبد والاستمتاع بصحبته والنيل من بركته، ليعودوا إلى مواطنهم محملين بمشاعر فرح عارمة بحصول المراد (البركة) وذكريات طيبة عن الشيخ وكراماته العجيبة. ■

* أستاذ التاريخ، جامعة المولى سليمان، بني ملال

مراجع

- الصومعي أحمد، المعزى في مناقب أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.
- التميمي محمد بن عبد الكريم، المستفاد من مناقب العباد بمدينة فاس، تحقيق محمد الشريف، طوب بريس، الرباط، 2020.
- ابن الزيات يوسف التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1997.
- التوفيق أحمد، بوعزة (مولاي)، معلمة المغرب، مطابع سلا، سلا، ص. 1792.
- Faure A., «Abu Yaza», Encyclopédie Berbère, t.1, p. 92.

نسيان ماضي الرباط

هكذا، كان يحتفل بموسم أبي يعزى وتتم زيارة رباطه في حياته، وهي بعيدة تماما عما يمارس في موسمه في شهر مارس من كل سنة في الوقت الحالي. لقد أسهمت السنين في نسيان ماضي الرباط والممارسات السنية العالمة التي سادت به، وتبديلها بممارسات شعبية ظلت كامنة في الذاكرة الجمعية للجماعات القروية، وانتظرت الفرصة للعودة وفرض هيمنتها على الممارسات السنية التي وضعها الشيخ قيد حياته. ■

(خاص)